مأساة الدول النامية في عالم غير متوازن

عنوان مقال نشر في صحيفة "الأمة القطرية" عدد رمضان ١٤٠٥هـ بقلم الدكتور محمد محمود المرسي قال فيه: تشير الإحصاءات إلى أن الإمكانات الزراعية متوافرة في العالم العربي، فهناك مساحات شاسعة صالحة للزراعة تتجاوز ٢٢٪ من المساحة الإجمالية من الأراضي العربية بينما لا تتعدى الأرض المزروعة ٤٪، وهناك الأنهار العملاقة مثل نهر النيل ودجلة والفرات بجانب كميات هائلة من المياه الجوفية، وإلى جانب الأراضي والمياه فهناك العنصر البشري الذي نجد أن ٥٢٪ من أبناء الوطن العربي يعتمدون في معيشتهم على الزراعة.

وحكام البلاد العربية يزيدون من حجم الإنفاق العسكري إلى حد يصعب معه الجمع بين الإنفاق على الغذاء وبين الإنفاق على النواحي العسكرية، والهدف حماية النظم الحاكمة.

والإنفاق العسكري بهذه الصورة في عالم غير متوازن وغير متكافئ يأتي في الوقت الذي نعاني منه غالبية السكان في الدول المتقدمة من التخمة في حين يموت الملايين جوعا في الدول النامية، ويهدد شبح الجوع ملايين أخرى.

أموال البترول ماذا نفعل بها؟

البترول نعمة من نعم الله تعالى التي أنعم بها على العرب في العصر الحديث، وقد أعطاهم البترول القوة التي تمكنهم من أن يثبتوا وجودهم بين

الدول العظمى التي تعمل على بناء نفسها وتحطيم غيرها، كما تمكنهم من أن يبنوا الشعوب العربية البناء الكامل المتكامل، وكما يقول النبي الكريم ﷺ "نعم المال الصالح للعبد الصالح".

ويمكن للعرب الذين يستوردون معظم احتياجاتهم من الدول الغربية في النواحي الزراعية والصناعية والحربية أن يقوموا ببناء التكامل الاقتصادي فهناك دول عربية فيها أرض صالحة للزراعة وهناك دول فيها قوى بشرية ودول فيها أموال كثيرة، ويمكن عن طريق هذه القوى أن يقيموا مشروعات زراعية وصناعات غذائية تغنيهم عن استيراد هذه الأشياء من الخارج وتحقق لهم الأمن الغذائي، وعلى هذا النظام تقوم المشروعات الصناعية المختلفة.. وهكذا، وبذلك يحققون وجودهم وأمنهم وقوتهم، وقد نادى بذلك كثير من الاقتصاديين العرب ولكن المسئولين لم يستجيبوا إلى ذلك إلا في حدود ضيقة.

إن العرب الذين ينتجون غلات زراعية وفواكه يبيعون إنتاجهم الزراعي إلى الدول الغربية، وبالتالي فإن العرب الذين يحتاجون إلى الغلات الزراعية والفواكه يستوردونها من الغرب، فالعرب خاسرون في الحالتين، والغرب كاسب في الحالتين، ولا يوجد أمل في تكامل اقتصادي أو تعاون اقتصادي قريب إذا ما سرنا على هذا المنهاج طويلا.

ويأتي سؤال: وأين تذهب أموال البترول؟ هذه الأموال التي أنعم الله تعالى بها على العرب في العصر الحديث، والجواب: إن بعض هذه الأموال ينفق على مشروعات البناء – وحتى هذه المشروعات تبنى على النظام الغربي الذي لا يتلاءم مع البيئة العربية – والكاسب من وراء هذه المشروعات هو الغرب، وبعض هذه الأموال ينفق في الكماليات التي تكثر وتكثر حتى تصل إلى درجة مذهلة،

وتعمل أجهزة الدعاية والإعلام طبقا للتخطيط الخارجي على نشر هذه النواحي التي لا تفيد، وفي إيران مثلا لوحظ أنه خلال عشر سنوات فقط في أثناء حكم الشاه زاد استعمال أدوات التجميل للنساء خمسمائة مرة.

وبنظرة إلى البلاد العربية نجد الإسراف في استخدام السيارات والمكيفات وأدوات التجميل وأدوات التصوير وأجهزة السينما والأفلام، ويحتاج هنا إلى دراسة حتى نعرف إلى أي حد وصلنا في هذا الاتجاه الذي خطط لنا ووقعنا فيه، وهذا كله كفيل بإثارة الفقراء ضد الأغنياء، وكفيل باستغلال الأعداء لهذه النواحي، وكفيل بإيجاد تيارات منحرفة وسط شبابنا الذي نرتجيه للغد المأمول.

وكثير من هذه الأموال أودعت في مصارف الغرب ومن ذلك أنه أودع في عام ١٩٧٤م ثمانون مليار من الدولارات، وهذه الأموال يستفيد منها الغرب في مشروعاته، ويحرم منها الشرق والبلاد الإسلامية في مشروعاته، ثم إن الدول العربية صاحبة هذه الأموال لا تستطيع أن تسحب الأرصدة كما تريد وهو لن يسمح لها بذلك تحت أي ظرف من الظروف.

وفي فترة من الفترات الماضية أرادت الدول الغربية أن تفرض ضريبة على هذه الأموال أجرا على حفظ هذه الأموال للدول العربية، وكان من العجيب أن يأتي هذا الاقتراح من فرنسا أقرب الدول الغربية إلى الدول الغربية، ولكنهم جميعا يعملون لمصالحهم الخاصة وإن كان ذلك بأساليبهم المختلفة، والمثل العربي يقول:" إذا لم تستح فاصنع ما شئت"، وبدلا من أن تصبح هذه الأموال مصدر قوة للعرب إذا بها تصبح نقطة ضعف، وما أكثر ما في العالم من عجائب.

وفي داخل البلاد العربية توجد الأندية الخاصة التي تنشر الخمر والميسر وما إلى ذلك، وبعضها له امتدادات للخارج كنادي الروتاري، وبعض البلاد العربية تعنى بالأماكن السياحية التي تنشر المفاسد المختلفة التي تهدم الأخلاق، ويقوم على الإشراف عليها أناس أعدوا لهذه الناحية إعدادا خاصا حتى يقوموا بعملهم على الوجه الأكمل، وهذا يؤثر على الدولة السياحية نفسها في أخلاق شبابها وصغرها بل وكيانها أيضا، والشاعر يقول:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم   فأقم عليهم مأتما وعويلا

وإلى جانب هذا فإننا نرى كثيرين من أغنياء الدول العربية يذهبون إلى البلاد الغربية للسياحة التي تهدم الأخلاق وتحطم النفوس، وبذلك يتحول الإسراف إلى ترف، والترف مفسد للفئة المترفة وفي الوقت نفسه مثير للفقراء ضد المترفين، وتبدأ عمليات الصراع والفتن التي قد تكون ذاتية من داخل الشعوب والتي قد تكون خارجية عن طريق الدسائس الخارجية والأيديولوجيات الواردة، وصدق الله العظيم إذ يقول: "ورذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدمير" "الإسراء:١٦".

ومن هنا، فإنه لابد أن يفكر المسئولون في رسم خطة لإنفاق الأموال بحيث تكون الخطة من منظور إسلامي فتنفق فيما يعود على الإسلام والمسلمين بالخير والفائدة، وبحيث تحدث تكاملا زراعيا وتجاريا وصناعيا بين البلاد الإسلامية فنستغنى بذلك عن الاستيراد والتصدير ونقوم بالتصدير فتفيد نفسها وتفيد غيرها وتعمل على أن تعيد للإسلام مجده وللمسلمين كيانهم الضائع، وبذلك نجتمع القلوب وتتوحد الأفئدة ويصبح المسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منهم عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر وكالبينان المرصوص

يشد بعضه بعضا، وبالتالي سيقدمون لهذا العالم الحائر الحضارة الإسلامية التي تعود عليه بالخير والسعادة.

إن الأسلوب الأمثل الذي يبعدنا عن الوصول إلي الهاوية هو أن نبدأ في جعل حياتنا في إطار الإسلام سواء أكان ذلك في التربية، أم في السلوك، أم في التشريع، وسواء أكان ذلك في النواحي الصحية، أم في النواحي النفسية، أم في النواحي الاجتماعية، أم في النواحي السياسية، أم في النواحي العسكرية.

بهذا نصون أنفسنا ونصون مجتمعاتنا وبذلك نحمل الرسالة التي وكلها الله تعالي إلينا، خلافة الله في الأرض وعمارتها وإقامة العدل فيها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبذلك يتحقق فينا قول القرآن الكريم "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون" "آل عمران: ١١٠".